

بابا نويل عربى

مرة أخرى يجيء « الكريسماس » ورأس السنة فى شهر رمضان المبارك ..
وكل سنة وأنتم طيبون . ومرة أخرى يظهر « بابا نويل » بوجهه الباسم
وطرطوره ولحيته البيضاء ، والشوال الذى امتلأ بالهدايا .. ومرة أخرى
يظهر الحديد فى فترينات محلات الأزياء .

ومرة أخرى أناذى أن تكون لنا شخصية عربية مثل شخصية
بابا نويل تعبر عن أعيادنا الشرقية والإسلامية .

وفى العام الماضى اقترحت أن تكون لنا شخصية « عم رمضان »
وأن يكون عم رمضان ابن بلد ظريفاً لطيفاً رقيقاً .. وأن يرتدى الحبة
والقفطان والعمامة .. وأن يمسك فى يده طبله المسحراتى ، وأن يمسك
عصا يضرب بها الأطفال الصغار أو الرجال الذين يضبطهم مفطرين
فى رمضان .. أو تراه وهو يمسك خروف عيد الأضحى .

ولاشك أن شخصية عم رمضان ستكون مادة للدعاية .. فسوف
تكون ملابسه مصنوعة من الكتافة .. أو قمر الدين .. وسوف تكون
عصاه فى لون البصل الأخضر أو الفجل ، وسوف يتشاجر عم رمضان
مع المسحراتية الذين يدقون الطبول ، والناس لم يناموا بعد ..

ومن الممكن أن يكون عم رمضان هو عم صيام .. أو يكون اسمه
أبا الصيام ، وأن يكون أبو صيام هو لسان حال الناس أو حال التعقل
والاعتدال والاقتصاد فى الأكل والشرب والنفقات .. فهو يطارد
الذين يسرفون فى الطعام ويسرفون فى الإنفاق .. وهو الذى يطارد
الزوجات اللاتي يبعن حليهن من أجل كعك العيد أو خروف
العيد ..

وربما كان من الأنسب أن يكون له اسم آخر هو « عم عيد » ..
وبذلك يناسب عيد الأضحى وعيد الفطر .. « والكريسماس »
ورأس السنة أيضاً .. ويكون له نفس الوجه ولكن تتغير أزياءه
في المناسبات .. فهو يضع اللحية والطرطور « والشوال » على كتفه
في « الكريسماس » ورأس السنة .. ويتزع الطرطور واللحية « والشوال »
في الأعياد الإسلامية .. ولكن المهم أن يكون « عم عيد » هذا هو البديل
لبابا نويل .. وهو ليس خصماً لبابا نويل .. وإنما صديق له .. ومواطن
عربي متسامح متفائل .. يطلب من كل الناس على اختلاف ألوانهم
أديانهم أن يتمسكوا بالقيم الأخلاقية وأن يتحابوا وأن يعتدلوا شهراً
في كل سنة .. وكل سنة ونحن طيبون .



أم مثقفة .. أين ؟

لو كانت أمهاتنا مثقفات .. لو كن يعرفن الدنيا ... لو قلن شيئاً مفيداً ونحن صغار ... لو أمسكت واحدة منهن يداً ودفعتنا بالقوة إلى المتحف ، وأشارت إلى عربة رمسيس وقالت : هذه العربة التي كانت تجرها الجياد كان يركبها الملك من ألوف السنين ... ثم نظرت إلى كل واحد منا نظرة ذات معنى — لو حدث هذا لتغير وجه التاريخ .

فإن الرجل الأمريكي « فورد » الذي ابتكر السيارة لم يكن نائماً ثم صفا من نومه وفي جيبه تصميم لسيارة صغيرة . وإنما كان يفكر دائماً في شيء أحسن من العربات الغليظة التي توقظ النائمين والتي تمر من تحت شباك غرفته ، وكان لا يدرى ما الذي يفعله . إن أمه فكرت في أن يجعل غرفته في مكان آخر ، وإن أباه فكر في أن يجعل شباكه مسدوداً بإحكام حتى لا يسمع هذه الضوضاء ... ولكن الطفل كان يضع رأسه تحت المائدة ... ولا ينام .

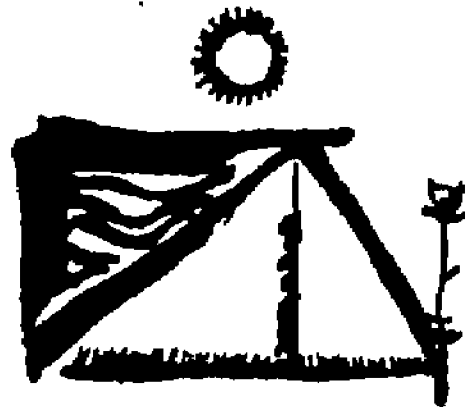
واكتشفت أمه ذلك ، وسألته عن سبب أرقه فقال إنه عندما يطبق عينيه ويسد أذنيه يحلم بأنه يسمع ضوضاء العربات .. وهنا برقت عيناها — كما لم تفعل أمهاتنا — وقالت له : إذن أعمل أى شيء .. أبحث عن طريقة لكي تكون هناك عربات بلا ضوضاء ... !

وكان كل مواهب الطفل مجموعة من الجنود في ملابس الميدان قد صدر إليها الأمر بالتقدم . وتقدمت مواهبه نحو الهدف . ولم تعباً

بالصعوبات الشديدة . استطاع الطفل أن يفعل شيئاً ، وكانت السيارة التي تنطلق بسرعة وبوضاء أقل .

أما الرجل الذي اخترع طائرة الهليكوبتر - كلمة « هليوكبتر » خطأ فلا توجد « واو » بعد الباء في الأصل اليوناني - فهو روسي الأصل . وقد ذهب مع أمه في يوم من الأيام إلى المتحف . ولسبب لا يعرفه الطفل اتجهت أمه إلى إحدى لوحات دافنشى . ثم أشارت بأصابعها التي تضغط على إصبعه وقالت : هذا رسم كروكي لدافنشى من ٤٠٠ سنة .. إنه مشروع طائرة ترتفع عمودياً .. فكرة رائعة ! هذا الصغير اسمه سكورسكى ، وهو الذي اخترع الهليكوبتر بأشكالها وأحجامها المختلفة . وقد أنفقت أسرته كل ما تملك من أجل أن ينجح هذا الطفل الذي رأى فقط صورة غير واضحة رسمها خيال فنان عظيم !

إن أمهات اليوم يستطعن الكثير جداً . فإن أعظم الاختراعات والأعمال قد بدأت بإشارة ذكية واعية من أم إلى طفلها !



النوم فوق السطوح أو النوم على الأرصفة

تحديد النسل .. هذا التعبير ابتكرته سيدة من خمسين عاماً .
هذه السيدة ماتت في الثمانين منذ أشهر . وقد التصق في ذهنها هذا
التعبير عندما رأت سيدة أخرى تلد ، وقبل أن تموت هذه السيدة
الأخرى اتجهت إلى الطبيب تقول : ألا توجد طريقة لمنع الحمل
يادكتور ؟ فأجاب الطبيب : قولى لزوجك أن ينام فوق السطوح !

وماتت الأم وهي تلد .. كأنها اختارت الموت على أن تضحك لهذه
النكتة السخيفة التي تخفى وراءها حقيقة مؤلمة : وهي كيف يحدد
الإنسان أبنائه .. كيف ينقص عدد سكان العالم ؟ كيف يستخدم
الإنسان حقاً طبيعياً وهو ألا يكون له أولاد .. أو العدد المعقول
من الأولاد !

أما السيدة التي استمعت إلى هذه النكتة ولم تضحك فهي
« مرجريت سانجر » ، وكانت تعمل ممرضة في ذلك الوقت . وهي
قد عانت في أسرتها من كثرة الإخوة وتعاسة أبويها .. فهي رقم ستة بين
أحد عشر أخاً !

ولذلك كان من الطبيعي أن تنادى هذه الفتاة بتحديد النسل .
وحاول أبوها أن يقنعها بالاهتمام بموضوع آخر غير ما يدور
في غرف النوم ، فرفضت وطلبت منه أن يهتم هو أيضاً بموضوع
آخر غير زيادة عدد التعساء من إخوتها .. وغضب الأب . وخاصمته

ابنته عندما ماتت أمها وهي تلد الابن الثاني عشر!!

وتزوجت «مرجريت سانجر» وأنجبت ثلاثة أطفال . ومات زوجها ثم عادت وتزوجت مليونيراً .. كانت له زوجة فقط .. وكانت تعيش معه تليفونياً من غرفة نومها المجاورة .. لقد كرهت أن تكون أمًا وأن تكون زوجة . والتزمت بمبدأها وهو : ثلاثة أطفال لا أكثر للقادرين !

وثارت عليها الكنيسة الكاثوليكية في أمريكا .. وهددت هي بالهجرة من أمريكا إذا الشعب اختار الرئيس الكاثوليكي جون كنيدي واختاره الشعب . واختارت حكومته مبدأ تحديد النسل .. وبقيت «مرجريت سانجر» تدعو إلى إنقاص عدد الجائعين في العالم .. فلا يزال الجوع أغلبية ساحقة .. ولا يزال أمام العالم أن يختار بين أن ينام الأزواج فوق السطوح أو ينام الأطفال على الأرصفة !



رفقاً بالإنسان

أصحاب القلوب الرقيقة لاحظوا أن الحيوانات في الغابات أخذت تنقرض : الأسد والغزال والزراف والفيلة والقروذ . وكذلك انقرضت بعض الطيور . والسبب هو أن الإنسان يقسو على هذه الحيوانات ويصطادها بأساليب غير إنسانية ؛ لذلك كان لا بد أن تختلج هذه القلوب وتبحث عن طريقة إنسانية عالمية لإنقاذ الحيوان من أخيه الإنسان .

فاتفقت عشرون دولة أفريقية وأمريكية في « تشاد » على عقد مؤتمر دولي بإشراف اليونسكو على البحث عن الوسائل الإنسانية لحماية هذه الحيوانات حتى لا تنقرض . فليس من الإنسانية أن يقضى الإنسان على الحيوان ، مهما كان الدور الذي يقوم به الحيوان ، سواء في حدائق الحيوان ، أو في « السيرك » أو في المعامل في خدمة العلم ..

حتى الكلبة « لا يكا » التي أطلقها السوفييت في أول قمر صناعي حول الأرض . كان انتصاراً علمياً هائلاً . ولكن على حساب هذا الحيوان المسكين !

هذه القلوب الرقيقة لم تضطرب لحظة واحدة لما يلقاه الزنوج في أمريكا من هوان وتعذيب . لم تتألم هذه القلوب لما يفعله الإنسان بأخيه الإنسان . ولم تشعر هذه الدول الأفريقية بأية رغبة في الاحتجاج أو الاستنكار لما يفعله الأمريكان البيض بالأمريكان السود ... لما يفعله الأمريكان البيض من أجل انقراض الأمريكان السود ..

ولم تهتز هذه القلوب أيضاً لما يفعله الأمريكان البيض بالآسيويين
 الصفرة في فيتنام .. وما يفعله الأمريكان في الشرق الأوسط .
 ويظهر أنه من الإنسانية أن يكون الإنسان رقيقاً مع الحيوان
 وليس رقيقاً مع الإنسان . . ولو قدر لهذه الحيوانات أن تتكلم لقلت :
 أيها الإنسان أنت منافق ، ارحم نفسك قبل أن ترحم غيرك .
 إن أى « كرباج » ينزل على ظهر حيوان يوجع كل البشرية !
 ولكن هذا النوع من العطف الإنساني على الحيوان هو نوع من « الترف »
 العاطفى .. أما « الضرورة » العاطفية فهي أن نعطف على الإنسان !



خاطبة العصر

لا بد أنه كان شاباً تعيشاً ذلك الذى نشر إعلاناً فى إحدى الصحف الألمانية فى يناير سنة ١٨٦٨ يطلب فيه عروساً تناسبه . فقد جاء فى الإعلان : « شاب عمره ٢٧ سنة ، من أسرة غنية ، يرغب فى الزواج من فتاة من أسرة غنية لا تريد سنّها على ٢٥ سنة ، تحب الأطفال والحيوانات » .

ولا أحد يعرف هل تزوج هذا الشاب بعد ذلك ؟ وهل كانت زوجته فتاة قرأت هذا الإعلان ؟ أو أنها فتاة أخرى التقى بها بمحض الصدفة فى إحدى الكنائس أو إحدى الحفلات أو أنه تزوج واحدة من قريباته برغم معارضته لذلك فى أول الأمر .. أو أنه أعرض عن الزواج ؟ !

يبدو أن هذا الشاب قد سجل فقط أنه أول من نشر إعلان زواج فى العالم ! واكتفى بذلك !

ولكن أشهر إعلان عن الزواج أذاعته صحف أوروبا لصاحب جائزة نوبل : ألفريد نوبل الذى اخترع الديناميت ثم أراد أن يكفر عن هذه الخطيئة العلمية فجعل كل ما كسبه من بيع الديناميت جوائز مالية لتشجيع البحث العلمى الذى يخفف آلام الإنسانية ، ثم للعمل من أجل السلام .. هذا الرجل أعلن عن حاجته إلى سكرتيرة . وجاءت السكرتيرة ، وكانت من أسرة نمساوية عريقة وفقيرة . وقبل أن يصارحها بحبه لها ، اعترفت له هى بحبها لرجل آخر ، وأنها تحلم بالزواج منه . وجاء اعترافها هذا حبلاً من

الديناميت نفس أحلام الرجل وأباد تفاؤله . وكانت هذه السكرتيرة
هى حبه الوحيد . وكانت أول امرأة تفوز بجائزة نوبل !

وتفاوتت صيغ هذه الإعلانات فى الصحف والمجلات ، فهناك
من يطلب صفات جسمية واضحة وصريحة ، وأحياناً عارية . وهناك
إعلانات عن الصداقة والعشق .. وهناك إعلانات تطلب صور
الفنيات . وتشترط أن تكون الصور بمايوه من قطعتين حتى يرى
زوج المستقبل كل معالم العروس بوضوح ..

وباب « إعلانات الزواج » يعود بالمال الكثير على الصحف والمجلات
فى أوربا وأمريكا ..

وهذه الإعلانات تؤكد حقيقة مؤلمة : وهى أنه برغم هذا
الاختلاط الشديد بين الناس فى العمل واللعب فإن المسافة بين الناس
بعيدة .. وشعور الناس بالعزلة والوحدة والأسى أعمق من أى وقت
مضى !

وكان هذا الاختلاط بين الناس لا يكفى لأن يختار الإنسان أية
واحدة فيتزوجها .. أو كأنه لا يجسر على أن يصارحها بذلك ..
أو كأن أحداً لا يصدقها إذا أعلن أنه جاد فى رغبته .. أو كأن هذا
الزحام الذى يحيط بالإنسان من كل مكان قد جعله يحس مرة أخرى
أنه وحده .. وأن الجنس الآخر بعيد عنه .. وأنه فى حاجة إلى « مخاطبة »
والصحف هى « مخاطبة » العصر الحديث !

الراقصة إنسانة

ارتفع الستار في مسرح « الفولى برچير » في باريس ، وفوجئ المتفرجون بأن الراقصات لم يخلعن ملابسهن ، كما هي العادة ، فالراقصات قد ارتدين ملابس كاملة ، والفرقة الموسيقية توقفت عن العزف . لماذا ؟

إن الراقصات قد أضربن عن العمل . وكانت مفاجأة ، وجاءت صاحبة أشهر وأقدم مسرح موسيقى راقص في باريس تصرخ وتقول :
إننى مندهشة !

وتقدمت الراقصات يقفن : إن دهشتك هذه إهانة لنا . لماذا لا تضرب .. لماذا لا نطالب بحقوقنا .. فإذا كنا نتجرد من ملابسنا أمام المتفرجين .. فإن هذا الفن لا يجردهنا من إنسانيتنا . ولا يمكن أن تسقط حقوقنا كما تسقط ملابسنا !

وهذا المسرح الراقص المشهور جداً قد افتتح في باريس منذ مائة عام ، وبدأ نشاطه الفني بعرض الأوبريتات ثم بعرض أعمال البهلوانات . وفي الأزمات تحول هذا المسرح إلى قاعة سياسية ضد العدوان وضد الطغيان ..

وقد ظهر على مسرح الفولى برچير في باريس عدد كبير من مشاهير الفنانين مثل : شارلى شابلن الذى ظهر يلقي المونولوجات وهو في الرابعة عشرة من عمره ، ورقصت جوزفين بيكر ، وغنى موريس شيقاليه .. وكانت الراقصة الجاسوسة « مستنجيت » تتصيد ضحاياها هناك . . . أما الأدبية « كوليت » فكانت ترقص وتغنى ..

وبعد ذلك اعتزلت المسرح لتتفرغ للأدب . وكانت أدبية ممتازة ..
وكان الممثل «فرناندل» يضحك على المسرح ويتندر على فمه
الواسع ، تماماً كما كان يفعل إسماعيل يس ..

وكان القولى برجيير قاعدة لإطلاق الصواريخ الراقصة والعارية
إلى كل عواصم العالم .. وعندما تظاهر الشباب والعمال في باريس
تضامنت الراقصات مع الطلبة ومع العمال . فن بين الراقصات طالبات
في السوربون .. وهناك راقصات تخرجن في الجامعة . وهناك راقصات
يتكلمن سبع لغات . وتوجد راقصات يتكلمن عشر لغات – كل
هذه المؤهلات الثقافية قد ألقين بها في وجه صاحبة المسرح !

ولأول مرة تجلس الراقصات في مقاعد المتفرجين ، وينمن أيضاً
حتى تجاب مطالبهن ، وهى : أن ترتفع أجورهن ، وأن تتوافر لهن غرف
نظيفة لحلع الملابس وغرف للاستحمام .. وأن يشاركن في إدارة
المسرح .

وانتهى إضراب الراقصات وتحققت مطالبهن !
ونعم الناس : الذين طالبوا ، والذين استجابوا لهذه المطالب !



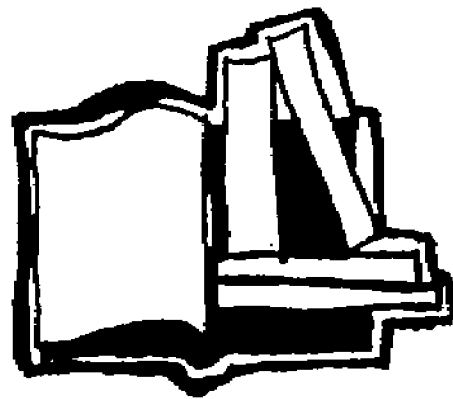
الكاتب لا يهتم إلا أن يكتب

إننى أتساءل كثيراً : هل يشغل المؤلف نفسه بالذين يسرقون كتبه من بعده ؟ هل يفكر فى القراء الذين سيقبلون كتبه بعد أن يتحول هو إلى تراب ؟ هل يهتم الكاتب بمستقبل أفكاره أو بوجوده هو فى المستقبل ؟

إن الكاتب يريد لأعماله أن تبقى ، وأن يستمتع ببقاء أفكاره وهو ما يزال حياً .. فبقاء أفكاره وانتشارها بقاء له وانتشار لوجوده وأثره فى الناس وعلى الناس . وهو ولا شك حريص على أن يكون له وجود وأن يكون هذا الوجود محترماً قوياً أو محبوباً ، لأنه من الممكن أن يكون الكاتب قوياً ولكن ليس محبوباً . ومن الممكن أن يكون محبوباً ولكن ليس محترماً . والذي يرضى الكاتب أو المؤلف عموماً هو أن يكون له الوجود الكريم ..

ويسعد المؤلف أحياناً أن يتخيل أنه سوف يكون موجوداً فترة طويلة .. وأن أحداً لن ينساه وهو ما يزال حياً : لأن نسيان الناس له ، وهو حى ، نوع من التعجيل بالوفاة . وهذا النسيان يفرغ الكاتب . لأن معناه أن الناس قد نسوه وهو حى ، وأنهم سوف ينسونه تماماً بعد أن يموت . والكاتب — كأي كائن حى — يفكر فى الموت أيضاً . والموت قضية تشغله مادام حياً . فهو لا يريد أن يميتته الناس . ولواختار الكاتب بين أن يميتته الناس وبين أن يميت هو نفسه لاختار الانتحار .. ولا يزال الانتحار أكرم على نفس المؤلف من أن يدفنه القراء حياً .

ولكن بعد أن يموت الكاتب فإن أعماله الأدبية تصبح في أيدي غيره من الناس .. سواء كان الناس هم الورثة أو هم القراء . وطبعاً لا يهم الكاتب الميت أن يدوس القراء كتبه أو يحرق الورثة جثته . لقد مات الكاتب . قال ما عنده ومات . ولو عرف المؤلفون كل ما يفعله القراء بهم : وما يفعله الورثة بمؤلفاتهم ، لأصابهم حزن وبأس ، وربما انتحروا .. ولكن لو أعيد المؤلفون إلى الحياة وهم يعرفون هذه النتائج مقدماً ، فهل يقلعون عن الكتابة والتأليف ؟ هل تجيش نفوسهم بالأفكار والمعاني والصور ثم لا يكتبون ؟ إنني أشك كثيراً . فالكاتب كالشمس يضيء ولا يملك إلا أن يضيء .. ولا يضايقه إن كان الذي يمشي في ضوءه برغوثاً أو فيلاً .. وإن كان الناس يسدون في وجهه النوافذ ويقاومونه بالأسبرين وطواقى الثلج أو بالهرب إلى مياه البحر .. كل هذا لا يهم . لأنه لا يملك إلا أن يكتب .. ولا يملك إلا حياته .. أما ما بعد حياته فليس ملكاً له .. ولذلك فالكاتب يكتب ، ويعلم مقدماً ما سوف يحدث له .. فهذه سنة الحياة : أن يساهم في بناء الحاضر ، ويساهم بجسمه في ملء قبور المستقبل !



النوم والحمال

منذ عشرين قرناً كتب شاعر الحب اللاتيني أوفيد ينصح المرأة بأن أحسن طريقة لكي تكون لها بشرة جميلة هي : أن تأتى بالدقيق والبيض وتخلطهما معاً . ثم تعرضهما للهواء ، وبعد أن تجف العجينة يجب أن تحولها إلى دقيق من جديد ، وأن تخلط الدقيق بعسل النحل ، وتضع هذه المادة اللزجة على وجهها يوماً كاملاً ، وأن تكرر ذلك مرتين في الأسبوع ، وينبها إلى ضرورة النوم الطويل العميق ، والنوم الطويل ممكن . ولكن كيف يكون عميقاً . فليس أسهل من أن يتمدد الإنسان على فراش ، وليس أصعب من أن يأتى بالنوم . ومن الصعب جداً أن يجعله عميقاً .

ولكن مراهم التجميل لا تخرج كثيراً عن هذه النصيحة ، فكل مساحيق التجميل والمراهم والدهانات مليئة بالبيض وزيت النباتات وباللبن وبالعسل النحل . وكل أطباء التجميل ينصحون المرأة بأن تنام كثيراً ، فإذا نامت استراحت بشرتها . ويبدو أن النوم في العصر الحديث ليس نوماً صحيحاً ، وإنما هو نوم مرضى .. فنحن لا نستسلم للنوم وإنما نرغم النوم على أن يجيء ، ونستخدم مع النوم وسائل القهر والبطش ونستعين عليه بالحبوب المهدئة ، ونستعين عليه بالمخدرات الطبية . وأحياناً نفرق في النوم كما يلقى الإنسان بنفسه في الماء في أثناء الغارات الجوية ، أو عندما يهاجمه وحش من الوحوش . وهذه الغارات وهذه الوحوش ليست إلا الأرق والقلق . ويجيء النوم منقذاً لنا من هذا العذاب ، أى منقذاً لنا من أنفسنا . وقد لجأ أطباء التجميل إلى

استخدام مواد مخدرة للبشرة نفسها .. أى لتنويم البشرة فقط . فالنوم
للبشرة يريحها .

ولكن من المؤكد أن النوم لكل الجسم هو الذى يجعل الدم صافياً
خالياً من السموم المهلكة للبشرة .

والأطباء فى كل العالم ينصحون بالنوم .. فالنوم يريح عقل الرجل
وهذا هو الذى يهيم فى الدرجة الأولى . ويريح بشرة المرأة ويحفظ
لها جمالها . فالنوم ليس علاجاً للبشرة . وإنما هو علاج للعقل أيضاً .

وما أقل الذين ينامون بهدوء فى هذا العصر الذى يحكمه الخوف والرعب
من الغد ! والإنسان كالحَيوان ، فأكثر الحيوانات خوفاً أقلها نوماً .

ولا يزال الخوف هو الحاكم المطلق لهذا العصر . وإذا كان الخوف

هو الإمبراطور فحاشيته هى الأرق والإمساك وضغط الدم والجنون .
ولذلك نتحصن ضده بالنوم والمنومات .. علاجاً للبشرة وما تحت
البشرة أيضاً !

